اجتماعي الموضوع ـ وفي نزار ، لم يكن ضروريا له ان يدخل المجتمع من النافذة لانه كان منذ البداية في قلب الصالة . فاذا كان نزار في شعره لم يصف جزءا من مجتمعنا ، فمن هم اذن هؤلاء الشباب والرجال الذين طالما عرفناهم والتقيناهم في صالات مجتمعنا وفي مقاهي لبنان واوروبا وحتى على بعض مقاعد الجامعات في الشرق والغرب ؟ وهل يظن القارىء ان ابطال « الحي اللاتيني » هم من ولائد مخيلة الدكتور سهيل ادريس ؟ وان الجوع الذي وصفه وابدع في وصفه هو من اختراع الفنان ؟ ان اهمية « الحي اللاتيني » تقع في انها تصور بدقة وصدق مدهش قصة فئة معينة من رجالنا، لا تختلف كثيرا عن تلك الفئة التي قدم نزار نماذج لها في شعره ـ نماذج ليست كلها نزار قباني .

وليقابل القراء بين موقف بطل « الحي اللاتيني » وتخليه عن صديقته القديمة وبين موقف بطل « حبلى » .

نحن العرب نميل تقليديا الى تمجيد شعرائنا ، وطالما اغرى هذا التمجيد الشعراء عندنا على ان يعيشوا نفاقا وان يجعلوا وجودهم كشعراء كذبة طويلة واهية . ولقد كان نزار رجلا عندما استمر يعيش حياته التي خلق ليعيشها دون ان يحاول تزييفها ارضاء لاي نقد او دعوة او درءا لتجريح . فان كان شرا ما يفعل بحياته فانه راض بهذه الحياة وليس هناك بلبلة وضعف في موقفه وهذا يكفي . اننا لا نستطيع ان نرفضه كشاعر لسبب على غاية من البساطة وهو انه صادق في ما يكتب كل الصدق ـ ولو « شمع » شعره بمثالية كاذبة كما يفعل عدد من الشعراء، لما اقنعنا ولا أثار اهتمامنا . ان شعره في المرأة يحرك في نفس كثيرين من القراء السؤال الملهوف ابدا « لماذا كل هذا الركض وراء المرأة ، لماذا كل هذه الحسية ؟ اهذه نظرة نزار قباني وحده ام انها نظرة مجتمع معين الى المرأة فيه؟» واذ تدرس هذه الاسئلة بأمانة وواقعية ، لا بد من التقرير بأن نزار قباني ليس غريبا عنا وليس شاذا في مجتمع مثالي .

فلنعرف جزءا من مجتمعنا من خلال شعر نزار قباني . انني أراه وثيقة اجتماعية هامة . والمرأة النزارية ، بطلة دواوينه الاولى ، التي تسيطر عليها التفاهة والغنج والدلال ، كانت الى سنين قليلة خلت مطمح انظار طالبي الزواج ـ وكانت الفكرة ان المتعلمة خطرة وكان الركض وراء الجمال القشري المحلى بزينات المدنية الحديثة ـ وهذه حقيقة مؤلمة في مجتمعنا ما زال لها انصار حتى بين بعض المتعلمين الى يومنا هذا . انه لن يكون بناء في مجتمعنا على مثالية منخورة الاساس .

واذا كان القلق هو اهم ما يسيطر على المجتمع العربي في الآونة الحاضرة فانه لا بد من الاعتراف بأن هناك ، في مجتمعنا ، فئات كثيرة لم تدخل بعد في دوامة القلق المعاصر ، الى درجة التحسس العميق . وعن هذه الفئات عبر نزار تعبيرا صادقا في دواوينه الاولى يوم وقف وقفة القبول من الحياة . انه عبر لنا عن روح جزء من مجتمعنا نحن نعرفه ولنا فيه اصدقاء واهل ومعارف . فالتنين الهائل الذي يمخر في أجوائنا لم يلتف بعد على جميع الرقاب بل استعبد بالدرجة الاولى الكتاب المفكرين منا ، والمحاربين المجندين للكفاح بطبيعتهم ، والفقراء ، وليس نزار ، أصلا ، واحدا من هؤلاء ـ ولكنه شاعر حسي رسام في شعره وعابد للجمال والالوان بطبيعته كانسان فنان ،

ـ التتمة على الصفحة ٩٤ ـ

الألفاظ

فليبعث حلقك بالالفاظ ، فانّ الالفاظ
هواء
من يمسكه أو يمسكها . . تلك الالفاظ الجوفاء
لكنّ هذي الالفاظ تهب هبوب الريح على وجهي
آناً تدفيني الالفاظ الحرى
وتقفقفني الالفاظ الباردة الصماء
آه يا عمري ، ايامي توسم بالالفاظ
لفظ حالم
قد يولد في ليل ناعم
في حضن النيل الباسم
لفظ مُصنمَت
واكاد اصيح بقائله : اصمت
فالجرح تدغدغه الالفاظ
لفظ قاتل
لفظ ذو الف يد تلتفّ على عنقي
ذو الف لسان تنفث سما
لفظ يرديني . . لا قطرة دم
والسكّين الالفاظ تشق اللحم
واظل أسائل ما تعني في خاطرك الالفاظ ؟
الفاظ قاتلة في رفق خالصة الكفين من الدم
اشياء تافهة هي عندك . . الفاظ
كفّي ! كفي ! ان الالفاظ ثمار الاشجار
ابهى ما تحمل من نوار
وكما انّ الشجر الطيب
يعطي ثمرا طيب
فالانسان الطيب
لا ينطق الا اللفظ الطيب
يا سيدتي ! يا بنت الصحراء الجرداء
فلتقتصدي ! فلتقتصدي في الالفاظ
الالفاظ الجوفاء . .

القاهرة — صلاح عبد الصبور